السيطرة على دمشق تقوّي الأسد على الصعيد الوطني

بواسطة فابريس بالونش (/ar/experts/fabrys-balwnsh-0)
أغسطس
متوفر أيضًا باللغات:
English (/policy-analysis/damascus-control-emboldens-assad-nationally)

عن المؤلفين

فابريس بالونش (/ar/experts/fabrys-balwnsh-0)
فابريس بالونش هو أستاذ مشارك ومدير الأبحاث في "جامعة ليون 2" وزميل زائر في معهد واشنطن.

1.jpg/)

تحليل موجز

ملاحظة: اضغط على الخرائط لعرض نسخ عالية الدقة.

من المقرر أن تبدأ هذا الشهر الجولة القادمة من مفاوضات السلام السورية في جنيف ولكنّ قبضة الرئيس السوري بشّار الأسد المشددة مؤخراً على دمشق قد وضعت بالفعل المعارضة السورية في موقف صعب. وفي الواقع إنّ التركيز على المعركة في حلب حيث تقدّمت أيضاً قوّات النظام مؤخراً (انظر "القوات الكردية تدعم الأسد في حلب" (http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/kurdish-forces-bolster-assad-in-aleppo)) قد صرف الإنتباه عن إستعادة الجيش السوري بشكل بطيء بل مؤكّد لضواحي العاصمة السورية التي كانت تحت سيطرة المتمردين.

خلق توازن ديموغرافي مواتي للنظام

منذ السبعينيات كان هناك حضوراً قوياً للجيش السوري في منطقة دمشق يشمل قواعد عسكرية كبيرة متمركزة في جنوب وغرب العاصمة. ورسمياً كان هذا الموقف العسكري يهدف إلى حماية دمشق ضدّ اسرائيل نظراً لأنّ جبهة الجولان تقع على بعد حوالي خمسين كيلومتراً غير أنّ الهدف "غير الرسميّ" من هذا الإعداد الّذي صمّمه الرئيس السابق حافظ الأسد كان السيطرة على دمشق بشكل أفضل. لقد آمن والد بشّار أنّ كل من يسيطر على دمشق يسيطر على سوريا. وكان جزء من هدف جهود الأسد الأب للسيطرة على دمشق بعد إستيلائه على السلطة في انقلاب عسكري في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1970 هو تمركز عشرات الآلاف من القوّات بالإضافة إلى مسؤولين علويين وعائلاتهم في المدينة. وفي حين كان هناك 300 علوي فقط يعيشون في دمشق (من أصل حوالي 500,000 نسمة في منطقة العاصمة) في عام 1947 ارتفع هذا العدد ليصل إلى أكثر من 500,000 (من بين حوالي 5 ملايين نسمة في منطقة العاصمة) بحلول عام 2010 أو بعبارة أخرى ربع المجتمع العلوي في سوريا. وبالتالي فاق عدد العلويين في دمشق عددهم في أي مدينة سورية أخرى.

(http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Maps/Syria Conflict/SyrianArmyDamascusStrategy-2.pdf)

(http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Maps/Syria Conflict/SyrianArmyDamascusStrategy-2.pdf)

(http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Maps/Syria Conflict/SyrianArmyDamascusStrategy-2.pdf)

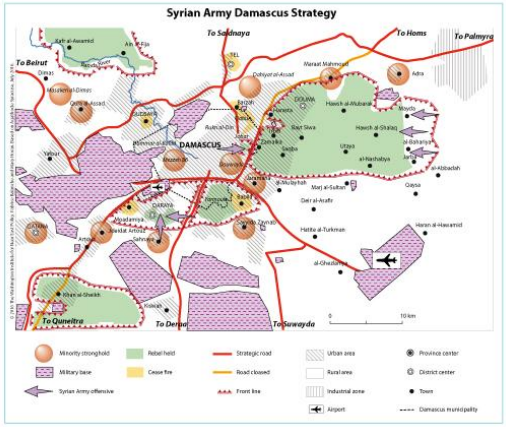

وإبتداءً من السبعينيات سعى النظام أيضاً إلى توزيع العلويين استراتيجياً في جميع أنحاء المدينة. ولا يزال مسؤولون في النظام يعيشون وفقاً لهذا الترتيب في حي "المالكي" حول منزل الأسد الخاص في حين أنّ موظفين مدنيين من رتب أدنى يعيشون في "مزة 86" وهي منطقة واسعة تطلّ على الأحياء الغنية من مزة. فضواحي المدن الدرزية- المسيحية أساساً تجذب العلويين أيضاً (على سبيل المثال "جديدة عرطوز" و"جرمانا" و"صحنايا") التي تقدّم أنماط حياة أكثر استدامة من المناطق السنيّة المحافظة في الغوطة (على سبيل المثال دوما وداريا وزملكا) - التي أصبحت معاقل التمرد.

ومنذ وصول حافظ الأسد إلى السلطة سمح النظام السوري أيضاً للأحياء العلوية والدرزية والمسيحية بالتوسع والإقتراب من المحاور الاستراتيجية التي تربط دمشق ببقية أنحاء البلاد ولبنان في حين تعيق أيضاً "الهلال السنّي" في المدينة. وهذه هي الحالة في ضاحية جرمانا الواسعة الّتي تمّ إنشائها إبتداءً من الثمانينيات فضلاً عن الطريق المؤدي إلى مطار دمشق الدولي الأمر الذي ناسب خطة النظام الاستراتيجية للفصل بين الضواحي السنية في المدينة أي بين شرق الغوطة وغربها.

التخطيط للأمن في المدينة

في شمال شرق المدينة يعيش في الغالب مسؤولون وموظّفون في القطاع العام للأعمال الصناعية من غير السنة وذلك في وحدات سكنية عامة في "ضاحية الأسد" و"معرة محمود" و"عدرا" وهي أحياء موالية تساعد في دعم الدفاع عن مدخل المدينة الشمالي الشرقي. وبالتالي فنظراً لأنّ الطريق المباشر من دمشق إلى حمص يتعرض لنيران المتمردين منذ نيسان 2012 فقد تمّ تغيير مسار حركة المرور إلى الطريق الدائري الشمالي الّذي يصل إلى الطريق السريع ما بين دمشق وحمص. وفي جنوب غرب المدينة تسهّل الثكنات العسكرية والمجتمعات الدرزية-المسيحية المكتظة فيها حماية الطرق المؤدية إلى بيروت والقنيطرة ودرعا. أما المناطق السنيّة مثل معضمية داريا ومخيم اليرموك للاجئيين الفلسطينيين الّذي يعتبر رسمياً ضاحية في دمشق بالإضافة إلى منطقة بابيلا فيحدّها من الجنوب الحزام الدرزي-المسيحي المعزّز منذ السبعينيات بأعداد كبيرة من العلويين فضلاً عن الطريق الدائري الجنوبي الّذي أصبح خطّ دفاعٍ مهمّ لدمشق ضدّ الضواحي التي يسيطر عليها المتمردون.

وبالنسبة إلى المدينة ككلّ فيحيطها طريق دائري كبير وتقطعها طرق واسعة تخلق فواصل في المناطق الحضرية. ولم تُصمّم هذه الشوارع في السبعينيات من أجل تسهيل تدفق حركة المرور وهذه مسألة واضحة وخاصّة عندما يأخذ المرء بعين الاعتبار أنّ عدداً قليلاً من السوريين امتلكوا سيارات خاصّة في ذلك الوقت ولم يتوقّع المصمّمون أن تزداد ملكية السيارات الخاصّة إلى درجة كبيرة. وبالأحرى كان ذلك مثالاً كلاسيكياً على التخطيط الأمني فالهدف من مخطط هذا الطريق كان انتشار المركبات المسلّحة من أجل ردع أي حدثٍ كبيرٍ. وفي أواخر السبعينيات وقعت "مدينة دمشق القديمة" ضحيّة لهذه الاستراتيجية عندما تمّ هدم جزء من أسواقها لإفساح الطريق لإقامة منطقةً للتسوّق مع شوارع عريضة تتقاطع في زوايا قائمة. ولم يُنشئ النظام طرقاً واسعة في كلّ مكانٍ بل سمح بإنتشار ضواحي غير رسمية خارج المدينة تتميز بشوارع ضيّقة وأشبه بمتاهةٍ. وفي النهاية أصبحت هذه الضواحي معاقل الإنتفاضة.

تطويق الضواحي التي يسيطر عليها المتمردون

يمكن أن يعزى سبب فشل المتمردين في دمشق بشكل رئيسي إلى عدم قدرتهم على توحيد الغوطة الغربية والشرقية وقطع الطريق المؤدّي إلى المطار الدولي. لقد دافع الجيش السوري ولاسيّما أعضاء محليون دروز من "قوات الدفاع الوطني" الموالي للنظام عن جرمانا بكلّ قوّة. كما قاوم السكان هجمات المتمردين الّتي شملت سيارات مفخّخة وهجمات صاروخية. وبذلك وسّع الجيش السوري نطاق سيطرته من جرمانا إلى جهتي طريق المطار مطوّقاً الجزئين السنيّين لمنطقة الغوطة.

(http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Maps/Syria Conflict/SyrianArmyProgressionDamascus-2.pdf)

(http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Maps/Syria Conflict/SyrianArmyProgressionDamascus-2.pdf)
(http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Maps/Syria Conflict/SyrianArmyProgressionDamascus-2.pdf)

Syrian Army Progression in Damascus Area: March 2013–July 2016

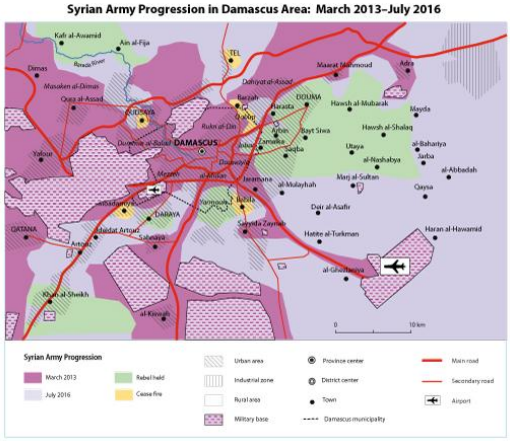

ويرافق الحصار العسكري على مناطق المتمردين حول دمشق حظراً على المواد الغذائية وغارات جوية تهدف إلى تخويف المدنيين. فالمبدأ الأساسي لمكافحة التمرّد الّذي يهدف إلى فصل المدنيين عن المتمردين يطبّق هنا بشكل بدائي كما كان عليه الحال في حلب. ووفقاً للأمم المتّحدة بقي في داريا 4000 شخص فقط من أصل 80,000 مقيم في عام 2010. ويهدف هذا الحصار أيضاً إلى تشجيع مناطق المتمردين الأخرى بقبول تسوية مؤقتة مع النظام. ولذلك أبرمت مناطق "بابيلا" و"معضميّة" و"قدسيا" و"القابون" و"برزة" اتفاقات وقف إطلاق النار مع الجيش السوري لمنع تدميرها وتجويع سكانها.

ومنذ ربيع عام 2016 استعاد الجيش السوري ثلث "شرق الغوطة" وتستمرّ قوّاته في التقدّم من الشرق. وقد أدت الصراعات بين الجماعات المتمردة «فيلق الشام» و«جيش الفسطاط» (بقيادة «جبهة النصرة») و«جيش الإسلام» إلى مساعدة النظام على القيام بهذا الهجوم. ومنذ عام 2012 كان «جيش الإسلام» يمارس سيطرة كاملة تقريباً على "شرق الغوطة" ولكن مقتل مؤسسه زهران علوش في 25 كانون الأوّل/ديسمبر 2015 قد أضعف الميليشيا. كما مثّل مقتل علوش نكسةً كبيرة للمملكة العربية السعودية نظراً لأنّه كان قد رقّي إلى منسّق المعارضة السورية في محادثات جنيف. وكانت هذه المرة الأولى التي توحّدت فيها المعارضة السياسية والعسكرية. ولم يكن خليفة علوش شقيقه الأصغر محمّد علوش قادراً على القيام بهذه المهمة سواء محليّاً أو دوليّاً فتمّ تهميشه بسرعة في جنيف لصالح رئيس الوزراء السوري السابق رياض حجاب.

(http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Maps/Syria Conflict/SyrianArmySurroundsEastGhouta-2.pdf)

(http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Maps/Syria Conflict/SyrianArmySurroundsEastGhouta-2.pdf)
(http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Maps/Syria Conflict/SyrianArmySurroundsEastGhouta-2.pdf)

Syrian Army Surrounds East Ghouta

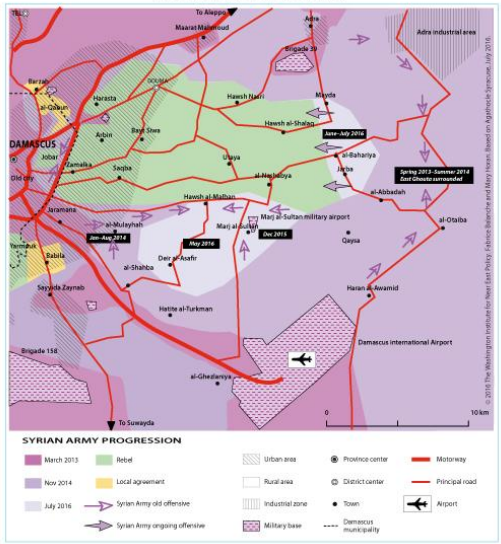

إنعكاس عسكري منذ عام 2012

في أعقاب الهجوم الّذي وقع في 18 تموز/يوليو 2012 وأودى بحياة الكثير من مسؤولي النظام من بينهم زوج شقيقة بشّار الأسد آصف شوكت الطموح بدا المتمردون على وشك الإستيلاء على دمشق. وبعد أربع سنواتٍ أصبح وضع دمشق العسكري مغايراً كليّاً. فالجيش السوري والميليشيات الشيعية المتحالفة معه يطوّقون الآن مناطق المتمردين حول دمشق. بالإضافة إلى ذلك فقد المتمردون الأمل في أن ينقذهم تدخّل خارجي لأنّ "مركز العمليات العسكرية" في عمان الّذي يساعد في تنسيق أعمال المتمردين لم يعد يعطي أولوّيته إلى دعم هجوم ضدّ النظام السوري بل ضدّ تنظيم «الدولة الإسلامية». كما أن إمكانية إبرام الولايات المتّحدة وروسيا إتفاق تعاونٍ ضدّ تنظيم «الدولة الإسلامية» و«جبهة النصرة» قد تزيد من حدة الشعور بالتخلّي بين المتمردين وبالتالي تُشجّع العديد من الجماعات على التفاوض مع النظام أو الإنضمام إلى الجهاديين.

وفي دمشق يتم دعم النظام بقوة من قبل «حزب الله» وإيران. ويعود سبب هذا الدعم إلى أنّ العاصمة السورية وخصوصاً مطاراتها هي البوابة الرئيسية لوصول الأسلحة الإيرانية إلى «حزب الله». كما يعتبر تدفّق المقاتلين الشيعة إلى دمشق جزءاً من جهدٍ للدفاع عن ضريح "السيدة زينب" وهو موقع حج شيعيّ أساسيّ كان يستقبل قبل عام 2011 مئات الآلاف من الزّوار كلّ عام. وفي كلّ مرّة يقع فيها صاروخٌ في منطقة "السيّدة زينب" أو تنفجر سيارةٌ مفخخة في تلك المنطقة تتردد أصداء الخبر في جميع أنحاء العالم الشيعي مما يساعد في جذب مقاتلين جدد إلى الجبهة. أمّا بالنسبة لإيران فلا يمكن السماح لضريح "السيّدة زينب" بمواجهة نفس مصير "ضريح العسكريين" [ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في سامراء] الّذي دُمّر في هجومٍ من قبل تنظيم «القاعدة» في شباط/فبراير 2006.

اليقين الذاتي للأسد

بالمقارنةً بـ [مناطق] غرب حلب الواقعة تحت سيطرة الحكومة والّتي يقصفها المتمردون بالصواريخ تُعتبر العاصمة السورية هادئة نسبيّاً. فالخدمات العامة تعمل بشكلٍ طبيعيّ وتبدو الحرب بعيدة باستثناء صوت

المدفعيّة من "جبل قاسيون" وهي تقصف مناطق المتمردين. وفضلاً عن ذلك يعمل المطار الدولي من جديد كما أن الطرق الرئيسية التي تؤدي إلى حمص ودرعا وبيروت آمنة. ولا يمكن لهذه التطورات إلاّ طمأنة الأسد. وبالرغم من عدم سيطرته حتى الآن على معظم أنحاء البلاد وبالكاد يحافظ جيشه على المكاسب الأخيرة على الأرض التّي سهّل تحقيقها تدخل سلاح الجو الروسي يشعر الأسد أقل تهديداً لأنّه يسيطر على دمشق. وبما أنّه لم يعد يحتاج إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لكي يدافع عن مجال دمشق الجوّي يقلّ احتمال رضوخه للضغوط الروسية ناهيك عن الضغوط الدولية الأخرى للتخلّي عن السلطة. وفي دمشق ما زال الأسد بحاجة إلى استمرار الدعم العسكري الدفاعي القويّ من إيران ووكيلها «حزب الله» والميليشيات الشيعية العراقية. وكما هو الوضع الآن فمن دون وجود تهديدٍ عسكري حقيقي على دمشق فلن يوافق الأسد أو إيران على حصول انتقالٍ سياسيّ في سوريا حتّى لو قبلت روسيا بذلك.

فابريس بالونش هو أستاذ مشارك ومدير الأبحاث في "جامعة ليون 2" وزميل زائر في معهد واشنطن. ❖

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Bennett’s Bahrain Visit Further Invigorates Israel-Gulf Diplomacy

/ /

◆

Simon Henderson

(/policy-analysis/bennetts-bahrain-visit-further-invigorates-israel-gulf-diplomacy)

BRIEF ANALYSIS

Libya’s Renewed Legitimacy Crisis

/ /

◆

Ben Fishman

(/policy-analysis/libyas-renewed-legitimacy-crisis)

تحليل موجز

مواجهة أزمة الغذاء في سوريا

فبراير

◆

عشتار الشامي

(ar/policy-analysis/mwajht-azmt-alghdha-fy-swrya/)

TOPICS

الشؤون العسكرية والأمنية **(ar/policy-analysis/alshwwn-alskryt-walamnyt/)**

المناطق والبلدان

سوريا **(ar/policy-analysis/swrya/)**